والد حكيم

كَانَ فى قديمِ الزمانِ تاجرٌ غنىٌّ ، مشهورٌ بالحكمةِ وسَدَادِ الرَّأى ، وله ابنٌ واحدٌ اسمُهُ سَعيدٌ . وكَان ابنُهُ هذا طيِّبَ القلبِ ، يثِقُ ثِقةً كبيرةً بشابٍّ يُسمَّى عبدَالله ، يظهِرُ له الصَّداقةَ والإخلاصَ ، ولكنَّ ذلك الشابَّ كَانَ فى الحقيقةِ يخدَعُ سَعيداً ، ويحتَالُ عليه بطُرُقٍ خبيثةٍ ليسلُبَهُ مَالَه . ولَمْ يَكُنْ هذا الأمْرُ يَخفَى على التاجرِ ، وكثيرا ما حذَّرَ ابنَه من صُحْبَةِ عَبْدِ اللهِ ، غيرَ أنَّ سَعيدًا أبَى أنْ يَستَمِعَ لِنصِيحةِ والدِهِ ، لِأنَّه كَانَ يَعتَقِدُ الصدْقَ والأمَانَةَ فى صاحبِهِ .

وفى سنةٍ من السنينَ أَرادَ التَّاجرُ أنْ يُسافِرَ إلى بلادِ الشَّامِ لِعَمَلٍ يتعلَّقُ بتِجارَتِهِ . ولمَّا علِمَ ابنُهُ بذلكَ طَلَبَ منه أنْ يأخُذَهُ معه ، فأجَابَهُ إلى طَلَبِهِ . وعند ما حَانَ مَوْعِدُ الرَّحيلِ قال الأبُ : « إننا ، يابُنَىَّ ، قادِمونَ على سَفَرٍ طَوِيلٍ ، ولا بُدَّ لَنا مِنْ شخصٍ أمِينٍ نُودِعُ عِنده أمْوالَنا ، لِيَحفَظَهَا لنَا إلى حِينِ عَوْدَتِنا . فَمَنِ الشَّخصُ الذى تَرَاهُ يَصْلُحُ لذلك » ؟

فأجَابَهُ سَعيدٌ عَلَى الفَوْرِ : « لَيسَ فى بَلْدَتِنا كلِّهَا مَن هو أكثرُ أمانةً مِن صَدِيقى عبدِ اللهِ ! فضَعْ نقودَكَ عندَه وأنتَ مُطمئِنُّ البالِ » .

قَالَ أبوه : « وهو كذلكَ ! سَأعْمَلُ برأيكَ هذه المرَّةَ » .

وفى اليومِ التَّالى أَعطَى التاجرُ لابنِهِ خِزَانةً ثقيلةً ليُودِعَها عندَ صديقِهِ ، وسَافَرَا .

وبعد شهرينِ عَادَا مِن السَّفَرِ ، فقَالَ الأبُ : « اذْهَبْ يابُنَىَّ الآنَ إلى صديقِكَ وأحضِرْ الخزَانةَ » .

وغابَ سَعيدٌ قليلا ، ثم عَادَ غضْبَانَ ، وقال لأبيه : « إنَّكَ يا أبى قد أهَنْتَ صديقِى ، وجرَحْتَ كَرَامَتَهُ ! فهو يَقُولُ إنَّ الخزَانةَ لم يَكُنْ بها مَالٌ بل كُومَةٌ مِنَ الحجارةِ ! »

فأجَابَهُ أبوه على الفَوْرِ : « وكيفَ عَرَفَ أنَّ الخزَانةَ لَيسَ بها إلاَّ أحجارٌ ؟ أليسَ هذا دليلا على أنه قَدْ كَسَرَ أقفالَها الثلاثةَ ؟ وإذنْ ألسْتَ تَرَى أنِّى كُنْتُ على حقٍّ فى أنِّى لَمْ أأتَمِنْهُ على شىءٍ ذى قيمةٍ ؟ إنِّى فَعلْتُ ما فعلْتُ قصداً لمَّا رأيْتُكَ لا تَستَمِعُ إلى نُصْحِى ، وذلكَ كَىْ أقنِعَكَ بأنَّ صديقَكَ هذا لم يَكُنْ أهلاً لِثقتِكَ » .

ومنذُ ذلكَ اليومُ أدْرَكَ سعيدٌ حِكْمَةَ أبيه وبُعْدَ نَظَرِه فابتَعَدَ عن صُحْبَةِ عبدِ اللهِ ، وصارَ يستَشِيرُ أباه فى كُلِّ شئُونِه وأعمالِهِ ، ولا يُخالِفُ له رَأْيًا